لو أنها نظمت كالدر واتخذت
في الجيد دان لها المرجان واللولوا

كل هذه القوافي يمجها الذوق ويعافها الطبع وقد قصد في قافية البيت الثاني قد وصلوا بالبناء للمجهول وفي الاخير تسهيل اللؤلؤ وفي تسهيله ثقل شديد ينفر من الشعر وقائله، ولا نغفل بهذه المناسبة عن ذلك البيت المشهور الذي جادت به قريحة شاعرنا اثناء قصيدة طويلة وما انفك يردده الناس كشاهد على شاعرية لسان المغرب وأديبه وحسامه وقضيبه بحر القريض المتلاطم الامواج، عبد الله القباج، كما يصف نفسه بخطه المحفوظ عندي وها هو البيت بحروفه ومعناه:

ما كان مولانا الامام براغب ☆ عنا ونحن كما علمت كلابه

فليتصور القارئ شاعراً قيل انه شاعر أمة يحاول نظم قصيدة في غرض مدح صاحب الجلالة والعرش ويهيئ لها سلسلة معاني مختارة ومن ضمنها أن يقول نحن كما علمت كلاب.

رعية مخلصة وشعب كريم كان له في الغابر مجد باذخ وعز راسخ وعراقة في الحضارة موروثة يسبغ عليها حلة الكلبية وينعتها بما تتقزز منه النفوس، وربما يأتي وقت نقرأ فيه لهذا الشاعر قصائد لا بيتاً واحداً بمثل هذا المعنى أو أحط ولا يتحرج من وصف المغرب بامة الحمير والبغال والقطط والسلاحف والحشرات، وما يدريك أنها ستكون في نظره استقبالا حجارة أو حديداً.

أما طائفة فقد ذهبت تعلل قوله أنه يشير بطرف خفي الى امة كامة المغرب لم ينفع فيها تقريع، ولا تنبهها الكوارث من رقدتها فلا هي للموت ولا للحياة ولا ارادت أن تشعر بمكانها وتهتم بشئونها ووجودها فوصفها أدق الوصف، وأصاب حيث رمي بذلك السهم لعلها تفيق، وطائفة لا تزال تحمل كلام شاعرنا محمل الدعابة في كل ما يصدر عنه بمثل هذا المعنى وسامح الله الشاعر فله من الحسنات، ما يستر هذه الهفوات، وتشفع له في مثل هذه الهنات. ونحن ملزمون أن نمر كراماً وننوه بما كان له من فضل على الادب المغربي ونذكر آياته القديمة التي كان يوحي اليه بها شعوره الصادق وطبعه الحساس.

ابن عباد

— ولنا هاته المرة ايضاً ملاحظات. وأولا نطلب من جديد من (ابن عباد) أن يحصر نقده في انتاج الكتاب ويترك كلياً كل ما له علاقة بالشخصيات ثم نلاحظ في شأن ما كتب عن (صديق)

بين الدين والالحاد

— تتمة —

لاجرم أنه منذ تكون البشر وهو مومن بالله ايمانا فطرياً، مسوقاً الى ذلك بشعوره الكامن واحساساته الباطنية وبتداول القرون والاجيال تولدت الشكوك في المعتقدات وكثر الفساد على وجه البسيطة، فأرسل الله الانبياء ليبينوا للبشر طريق الهدى والصلاح، فنزلت الاديان السماوية، كل دين منها خاص بقوم دون آخرين مناسب لظروفهم الاجتماعية والاخلاقية ممتد الى أجل، الى أن انزل الدين الاسلامي فأنقذ النوع الانساني من الوحشية والهمجية، وهو الدين الوحيد الذي نزل لسائر البشر للمميزات التي خص بها ولاحتوائه على عناصر الاصلاح والرقي والثقافة والعرفان، فاذا بحثنا اصول الاسلام في حدوده الطبيعية — بغض الطرف عما زيد فيه من البدع — نجد تعاليمه العامة هي التي تتطلبها طبيعة الكون لسائر الجماعات ولسائر الظروف لاخصوصية لفيئة دون اخرى.

فالاسلام بث في النفوس الاعتماد على النفس والعمل للرقي والحضارة والعمران والمساواة والعدل، فملك بذلك افريقيا وجل

أنه لا معنى للاشارة الى أصله وكلنا اخوان لا يفرّق بيننا شيء كما أنه من عدم الانصاف اتهامه بالعمل للغير وانما الرجل اديب عربي كتب عن نية حسنة لا زائد ولا ناقص، واما (الشاعر المطبوع) فقد ذكر (ابن عباد) بادئ بدء حسناته، وهذا شيء جديد في طريقة ابن عباد يشكر عليها اذ انه في مقاله الاول كان اقتصر على النقد خلافاً لما يجب في هذا الموضوع، وكل ما نرد به على مساعدنا النبيل أن الشاعر المطبوع قد قام بكل ما يناسب عصره وتسمح به الظروف فهو لذلك جدير بكل اجلال واعتراف ونتمنى ان يقوم الجيل الحاضر بكل ما يناسب هذا العصر، وسيأتي بعد ذلك ان شاء الله من يقول في ابن عباد واصحابه ما يقولونه في الشاعر المطبوع، وهذا معنى الزقي.

آسيا وبعض اروبا ، كل ذلك كان تحت ظل الخلافة الاسلامية ، لا يفضل أعرابي على أعجمي ولا أعجمي على حبشي ، فالاسلام يأمر باستخدام المواهب العقلية والقوة الطبيعية في سبيل المصلحة العامة ، بثبات العزيمة ووحدة الارادة في ميادين الحرية الفسيحة الارجاء ، فسما بالسجايا الحميدة والاخلاق الفاضلة والاتحاد والايتلاف الذي كان متجلياً بين سائر طبقات المسلمين .

واذا نظرنا من ناحية تقدم العلوم والمعارف نجدها امتدت وترعرعت في جميع ممالكه بالرغم عن اختلاف الاجناس واللهجات ، فنضج الادب والفلسفة والحكمة والطب والتاريخ والاجتماع والهندسة ، ففي كل فن انتج لنا الاسلام جهابذة ونبغاء وعظماء ومفكرين في مختلف الاقطار الاسلامية ، حملوا راية مجد الاسلام قروناً عديدة ، فبددوا ظلام الجهل الحالك بأشعة العلم والمعرفة ، ذاك ما انجبت الحضارة الاسلامية فخدمت الانسانية وأحرزت على صولجان المجد بما ادته من الخدمة للثقافة والعلوم ويشهد لذلك العصر العباسي في بغداد ومدنية الاندلس والدولة الايوبية والطولونية بمصر وعصر الموحدين والمرينيين بالمغرب الاقصى الى غير ذلك مما لا يسمح المجال باستيفائه وحصره ، فترك عباقرة الاسلام مواد خصبة مهدوا بها السبل لمن جاء بعدهم فوجدوها كحديقة يانعة مثمرة ، فكانوا قدوة ورائداً لهم في الحياة ، والخلاصة أنه قد اتضح مما أسلفنا أن دين الاسلام بمركزه المتين كان أقوى عامل لتكوين المدنية الحديثة وأمتن اساس ترتكز عليه المدنية الحقة التي ستتكون في الشرق عامة وفي الاقطار الاسلامية خاصة بمقتضى ما نشاهده من العوامل ومظاهر النهوض الحالية بعد ما مكثت في حلقة الفتور والركود لعوامل شتى منها جوائح التتر والمغول والحروب الصليبية التي أنهكت قوى المسلمين ، فتكالبت عليهم عوامل شتى في قرون متوالية كانت كافية للضعف والانحلال حتى تدهورت الامم الاسلامية ، وصارت تسير في حياتها الاجتماعية مخالفة لمبادئ الاسلام وتعاليمه ، وبعد ما تحرك المسلمون من مضاجعهم قليلا فسيرى العالم في المستقبل مدنية لم تتقدم في العالم سيكون لها أثر فعال في نفع البشر والانسانية جمعاء .

أحمد بن احسان

ابن بطوطة ورحلته

- تتمة -

وهنا يجدر بنا أن نشير الى ما يوجه غالباً الى ابن بطوطة من الانتقادات حول مبالغاته وذكره للعجائب والغرائب الخارقة للعادة قال معاصره فخر المغرب ابن خلدون [1] : « قد ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة كان رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند واتصل بملكها لذلك العهد وهو السلطان محمد شاه وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بممالك الارض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون مثل أن ملك الهند اذا خرج للسفر أحصى أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة الى صحراء البلد ويطوفون به وينصب أمامه في ذلك المحفل منجنيقات على الظهر يرمي بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس الى أن يدخل إيوانه إلى غير ذلك من أمثال هذه الحكايات فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه ، ولقيت أنا يومئذ في بعض الايام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ففاوضته في هذا الشأن وأريته إنكار أخبار ذلك الرجل لما استفاض في الناس

(1) مقدمة ابن خلدون المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٢٧ ص ٢٠١-٢٠٢.